صيد الغزال

بقلم شفيق نقاش

في صباح يوم من أيام أغسطس العصيبة، كانت الغزالة ترعى في جبل البازين Basin. تقضم الأعشاب اللينة رقة وهناءة، وتلفت جيدها محدقة في خطيمها الصغير، ورفيقها الوحيد في هذه الوهاد المقفرة، وهو مضطجع قريباً منها على فراش وثير من البجلة

لقد أخذت البقع العفراء الساحرة تغشى جلده الناعم فتكسبه روعة وبهاء؛ فهي معجبة به، تحنو عليه، وتحيطه بنظرات العطف كلما بدرت منه حركة دلت على خوف أو ألم، وهو يتحفز للوثوب خلفها وجلاً كلما خطرت مبتعدة في طلب العشب

صورة رائعة للأمومة التي تعطر جو الحياة الكئيبة، والثقة التي تخفف من شقائها

رفعت الغزالة رأسها بسرعة البرق، هل سمعت صوتاً؟ ربما كان ذلك حفيف الرياح الجنوبية تخترق الغابة؛ فالسكون الرهيب مخيم على الوادي، والسكينة سائدة في كل مكان

رنت الظبية بطرفها، وألقت نظرة اطمئنان على رشأها ثم تابعت رعيها. وفجأة رفعت جيدها واشرأبت تجيل الطرف في أنحاء الغابة، وهي ترتجف من الخوف... هناك صدى صراخ متواصل يخترق الوادي، أصغت قليلاً فتأكد لديها نباح كلب يدنو رويداً من كِنَاسِهَا الأمين

كان الوقت كافياً لمرحلة طويلة تطويها مبتعدة عن الصيادين. ولكن هناك وحيدها الظبي الألوف، وأنيسها في هذه الوحشة، فمن ينقذه؟ هو لا يستطيع اللحاق بها، فلن تكل أمره، ولن تتركه؟...

تنابحت الكلاب غير بعيد، وتجلى للغزالة الخطر المحدق بهما، فوثبت بضع خطوات الى الوادي تبحث عن ملجأ أو مهرب! وهب رشأها مذعوراً وهو يبغم متعجباً

أغربت الظبية ثم ألقت نظرة وراءها، فرأته يتتبعها بسيره البطيء، وهو يتعثر متألماً من الجذوع الخاوية على الأرض، والأشواك التي تعترض سبيله. تابعت الأم سيرها واستمر وحيدها لاحقاً بها يتعثر ويستغيث، لأن البون أصبح شاسعاً بينهما

— كائن صغير من مخلوقات الله لا يقوى على احتمال الألم والخوف والتعب، فوقع على الأرض! تصايحت الكلاب وتقاربت، واشتد نباحها. وأحدق الموت بهذين البريئين من كل جانب؛ فدنت المسكينة من صغيرها تلحس بلسانها بشرته الرقيقة الناعمة، واضطجع هو آمناً بقربها، مطمئناً بعودتها، ثم ما لبث أن أغمض أجفانه من التعب

فكرت الغزالة في تخليص صغيرها من مخالب الكلاب ورصاص الصيادين، وكأن صوتاً أهاب بها فرفعت رأسها، وفتحت منخريها، وحدقت طويلاً في مصدر الصوت، ثم نفرت مقتحمة الغابة، قاصدة ناحية أعدائها. ولما اقتربت منهم وتأكد لديها اكتشافهم لها واقتفاؤهم أثرها، غيرت وجهتها وشرقت بهم مبتعدة عن ولدها فأصبح في مأمن من الشر

تضاءل النباح وراءها، فوثقت من فوزها، وولت وجهها شطر الشمال تود القيام بدورة تعيدها حيث تركت خطيمها، ولكنها ما عتمت أن سمعت صوتاً جديداً يقابلها، فانطلقت الى الأمام تجتاز الوادي

هذه صلصلة أجراس القرية تدوي في الفضاء ويتجاوب صداها، لقد أصبحت على مقربة من أكواخ الفلاحين. هنا أيضاً أعداء جدد لم تحلم بهم. سدت في وجهها الطرق، وأغلقت المفاوز، وأحاط بها الصيادون من كل جانب. — رحمتك اللهم! ألم تدع للشفقة مكاناً في ذلك الوادي الزاهر حين خلقته؟ ولا للرحمة موضعاً في تلك القلوب حين كونتها؟

الكلاب تقاجئها من كل ناحية، وسكان القرية يطاردونها رجالاً ونساء وأطفالاً، يود كل منهم لو يظفر بها غنيمة باردة

تذكرت الظبية طلاها[1] فتجدد أملها بلقائه، وسلكت طريق القرية مرغمة بين نبوح[2] الفلاحين ودوي البارود

اعترضتها بحيرة قريبة، فألقت نفسها في الماء تشق صفحته، وتسبح بقوة عجيبة. لقد خارت قواها، ولم تعد سيقانها الضئيلة تساعدها على المضي في طريق النجاة

ولكن الأمل المذنب — سر الحياة — كان يهيب بها دائماً لاقتحام تلك الغمرات، حتى وصلت الشاطىء فأبرّت مطمئنة، وتمثلت أنيسها يبحث عنها في وحشته، فهرعت تريد احتضانه. ولكن هل نجت المسكينة بعد هذا العذاب الطويل؟

صياد جديد كان يترصدها فاستقبلها برصاص بندقيته، فوقعت جثة هامدة..

« عن الانكليزية بتصرف »

شفيق نقاش

(١) الصغير من الظبي ومن كل شيء (٢) ضجة القوم وأصوات كلابهم